

مناقشة رأي في علامة التانيث

بقلم : محمد شيت صالح الحياوي

في مجلة (المورد) الشامخة - المجلد التاسع ، العدد الاول - مقال
جليل جاء بالعنوان الآتي : -

- ديوان الادب لاسحاق بن ابراهيم الفارابي - الجزء الاول ، تحقيق
د. احمد مختار عمر ، القاهرة ٧٤

- بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب -
والحقيقة ان كاتب المقال قدحالفه التوفيق، وواجاد في نقده وتعليقه
ايما اجادة ؛ ولا عجب فهو بحائثة مشهور ومحقق بارع، ضرب بسهم وانر
في مجالي الادب واللغة فيما قَدَّمَ من بحوث ، وما أنتج من مؤلفات تشهد بطول
باعه وسعة اطلاعه . ومع ذلك فالكمال لله ، ولن ينجو كاتب من زلل ،
ولا سيما في معرض الاجتهاد ؛ وهذا ما حصل في المقال آنف الذكر - برأيي
الذي قد اكون مصيبا فيه وقد اكون مخطئا ، والقول الفصل اولا وآخر
للعلم والتفكير السليم -

يقول الكاتب ص ١٦ ما نصه: (وعندي ان علامة التانيث واحدة في
العربية، هي هاء التانيث ، كما في (حجرة وناطمة) التي تتحول تاء في درج
الكلام . واذا عرفنا ان علامة التانيث هذه ، اي الهاء ، تقتضي ان يكون
قبلها فتح ، وعلى هذا يكون الفتح العلامة الاصيلة للتانيث ، وهي نفسها

الف التانيث المقصورة في (ليلي وسلمى) وهي نفسها الالف المدودة نسي
(صحراء وحسنا) ؛ وما الفتح القصير كالفتحة ، والفتح المتوسط كالالف
المقصورة ، والفتح الطويل كالالف المدودة ، الا صوت واحد يختلف في
نسحة طوله . ويقول ايضا في الحاشية (وهذا الفتح هو علامة التانيث ،
ولان الفتحة لا ترسم في الخط العربي ، ذُيِّلت الكلمة بهاء لتقرأ مفتوحة الآخر
قبل الهاء ، ثم رسم الفتح فكان الالف المقصورة والالف المدودة . ولو
عرفت ان (ليلة ويلي وليلاء) مادة واحدة ، أدركت ان علامة التانيث واحدة
فيها جميعا ، وهي الفتح بصورة الثلاثة) .

فحوى اجتهاده ما هو آت : —

أولا — علامة التانيث واحدة في العربية هي هاء التانيث ، كما نسي
(حجرة و فاطمة) التي تتحول تاء في درج الكلام .

ثانيا — هاء التانيث لا تأتي الا بعد حرف مفتوح .

ثالثا — الفتح هو العلامة الاصيل للتانيث .

رابعا — الفتحة لا ترسم في الخط العربي ، ولذلك ذُيِّلت الكلمة بهاء
ليقرأ ما قبلها مفتوحا .

خامسا — حينما رسم الفتح استغنى عن الهاء وتطورت الفتحة
واستطالت فصارت الفاء مقصورة كما في (ليلي وسلمى) ثم الفاء المدودة
كبا في (صحراء وحسنا) .

سادسا — بما ان فتحة الحرف الثالث مشتركة في الكلمات الثلاث
(ليلة ، ليلي ، ليلاء) وهن مادة واحدة ، لذلك فالفتحة وحدها هي علامة
التانيث لا غيرها .

لذلك كله نرجو أن يسمح لنا بمناقشة أقواله وآرائه عسى أن نتوصل

الى نتيجة حاسمة .

أولا — سمي التاء المربوطة هاء التانيث ، لاننا حين نقف عليها نلفظها هاء . وفاته أن الأصل هو الدرج لا الوقف ، كما أن من العرب من يقف عليها ويلفظها تاء . فهي تاء أقوى من هاء ، والتسمية للأقوى ، وشتان بين المخرَجين ، فالهاء حلقية والتاء نطقية .

ثانيا — لا يَشْتَرَطُ أن يكون ما قبل التاء المربوطة حرفا مفتوحا، فقد يكون ألفا ، والألف لا يكون الا ساكنا ، مثل (فتاة وقضاة) .

ثالثا — ذكر أن الفتح هو العلامة الأصلية للتانيث ، كما ذكر أن الهاء وحدها هي علامة التانيث . أفلا بتناقض القولان ؟ أم يريد أن يقول: أن للتانيث علامتين اثنتين واحدة أساسية هي الفتحة، والأخرى فرعية هي الهاء . فلم يحسن التوضيح !

رابعا — الناء كما سميناهاء، أو الهاء كما سماها، زائدة على رأيه، جيء بها لإظهار الفتح الذي قبلها لأنه غير مرسوم، وليس لها غرض آخر أو فائدة أخرى. وهو رأي ضعيف على ما اظن لا يتناسب مع دقة ملاحظات الكاتب فيما يحل ويدقق ؛ فقد شرح اللغويون هذه التاء وبيّنوا أغراضها المختلفة في مواضعها المتعددة ؛ ولا حاجة لتسطير ما وضحوا وبيان ما قرروا .

واني — بتواضع — اجازف ولا اسمي التاء المربوطة هاء كما سماها فحسب، بل لا اعتبرها علامة تانيث ! . فبعد أن فحصت مواضعها وحللت أغراضها، تبين لي أنها تعطي معنى واحدا يشترك فيه جميع الأمثلة المختومة بها ، وهذا المعنى المشترك هو ما نسميه (الوحدة !) .

ومعنى الوحدة هو الذي يجعلنا نعامل الكلمة معاملة المؤنث، سواء أكان مجازيا أم حقيقيا أو مذكرا أو جمعا كما سنرى . والوحدة جزيئة أو

نسخة او مجموعة قد تمثل عدداً رقمه واحده كما قد تمثل عدداً يزيد على اثنين . وهاكم أمثلتها مع الشرح : —

شَرَبَة : وحدة من الشرب

شِرْبَة : وحدة لهيئة الشرب

تمرة : وحدة من ثمر التمر

صخرة : وحدة من جماد الصخر

بطَّة : وحدة من الطير المسمى بَطَّاءً

طلحة : وحدة من شجر الطلح

فارة : وحدة من الفئران ، أما الفأر فليس بوحدة بل فردا من الفئران ، وهكذا جاء تانيث فارة من الوحدة لا من الفأر الذي بدوره جاء تذكيره من الجمع ايضا !

حليمة : وحدة من الحلم متصفة به ؛ أما حليم فليس بوحدة بل فردا من الحلم متصفاً به .

رحالة : وحدة من الرحل متصفة به قوية .

قضاة : وحدة (مجموعة) من معنى القضاء .

عبارة ، عبادلة ، مغاربة : وحدة (مجموعة) من العبقرية وعبد الله ، واهل المغرب على التوالي .

حُجْرَة : وحدة من معنى الحَجْر (بفتح الحاء وسكون الجيم)

تذكرة : وحدة من معنى التذكير

خبرة : وحدة من معنى الخبر .

نُسخة : وحدة من معنى النسخ .

مسابقة : وحدة من معنى السباق .

هبة : وحدة من معنى الوهب .

بنية : وحدة من معنى البناء أو البنيان .

اعانة : وحدة من المعنى المستفاد من أعان — يعين .

استقامة : وحدة من المعنى المستفاد من استقام — يستقيم . فاذا

أردناها مرة واحدة، أي ليس وحدة أو نسخة مكررة، قلنا استقامة

واحدة !

لغة : وحدة من معنى اللغو... الخ التاءات المربوطات .

ونستفيد من هذه الأمثلة ما يأتي : —

أ — لو كانت الكلمة المختومة بالتاء المربوطة مؤنثة، وكانت التاء علامة

التأنيث، لجاز حذف التاء وتحولت الكلمة الى مذكر. وهذا لم يحصل

الا مصادفة في فأرة — فأر ، فتاة — فتى ، كلبة — كلب وأمثالها؛ وقد

شرحنا ذلك .

ب — لو كانت مؤنثة لما نُقل معناها الى مذكر؛ مثل طلحة حمزة معاوية ...

الخ

ج — لو كانت مؤنثة لما دلت على جمع مذكر مثل قضاة عباقرة ... الخ

فالؤنث إذا ما دلَّ على التأنيث في الوضع والمعنى المعجمي، أو في

الصيغة، سواء أكان مختوما بالتاء أو بالالف أو لم يكن مختوما بهما .

خامسا — أما الالف المقصورة والالف المدودة فليستا وحدهما

علامتي تأنيث، لان التأنيث سواء أكان حقيقيا أم اعتباريا مفهوم بالصيغة، فني

سلمى وعطشى وفضلى جاء التأنيث من وزني نَعْلَى وُقْعَلَى بفتح الحرف

الاول أو ضمه وسكون ثانيهما ووقوع الالف في رابعهما .

وفي صحراء وحسناء وحمراء جاء التأنيث من وزن نَعْلَاء بفتح فسكون

مع الالف والهمزة وفي كلا النوعين نجدالفتحة قبل الالف كما نجدها قبله
حيثما جاء . ولو حذفنا الالف،او الالف والهمزة،لم يكن لما تبقى من الكلمة
أي معنى ؛ ولذلك فالالف ليست وحدها علامة تأنيث لانها امتداد للفتحة
ذو صيغة لا علاقة لها بصيغة المؤنث؛مثل افضل مذكر فُضلى واحمر مذكر
حمرء .

ومن الظريف أن كلمة عطشى،مثلاء،التي زعم الكاتب أن الفهاء دال
على انوثتها،إذا أضيفت اليها نون فصارت (عطشان) تحولت الى مذكر؛
فكيف صارت الكلمة الجديدة مذكرا مع ان علامة التأنيث (الالف) على
زعمه باقية ايضا ؟!

سادسا — بقي اشتراك الكلمات الثلاث (ليلة ليلي ليلاء) في المادة
وفي فتحة الحرف الثالث — وقد تكلمنا عن الفتحة ما فيه الكفاية — . اما
المادة فلو كانت علامة التأنيث واحدة في الكلمات الثلاث وهي الفتحة — على
رايه — لكان المعنى واحدا لا ثلاثة معان .

فليلة ليست مؤنث ليل،لان الليل نفسه جنسان:تارة يكون مذكرا
وتارة يكون مؤنثا،ولذلك لا يحتاج الى مؤنث.بل معنى (ليلة) المختومة بالتاء
وحدة من وحدات (الليل) كما مثلنا وشرحنا .

واما ليلي ، وهي كوكب الزهرة عند العوام،لا الخمر ، فمعناها —
على ما اتصور — ذات الليل أو ربة الليل،لأنها اشد الكواكب السيارة ضياء.
واما ليلاء من اللبالي فهي الفريدة اوالمتميزة في امر ما كالطسول
او الظلام أو غيرها .

وبعد فاني ارى التاء المبسوطة الزائدة التي تأتي مع الفعل أو الاسم

هي علامة تانيث، كما في: ذهبت، ورجعت، والتلميذة تذهب وترجع؛ وكما في التلميذات مهذبات؛ حيث التاء تدل على التانيث، والالف يدل على الجمع، ولا يمكن فصلهما ولا بد أن يأتيا مجتمعين .

تضية أخيرة أنكرها لعلني أكون مصيبا فيها وهي على عكس ما ارتأى الكاتب ، فإن كانت الفتحة عنده علامة تانيث — وقد فُندنا رأيه — فإن الكسرة عندي قد تكون من علامات التانيث؛ والدليل ورودها في كثير من مواضع التانيث مثل: انت، ذهبت، تذهبين، لن تذهبي، عندك، كتابك، هذي، هذه، هذ، هاته، ته، تلك، التي، اللاتي، حذام، قطام، يا لكاع، ويا خبساك .
عالمات كتبت (في حالتي الجر والنصب) . . . الخ .

خلاصة بحثنا كما يلي : —

- (١) التاء المربوطة لا الهاء تأتي لأغراض مختلفة، وتتفق معانيها جميعا في معنى واحد مشترك هو (الوحدة) فهي علامة على الوحدة أصلا لا على التانيث .
- (٢) الالف المتصورة والالف المدودة إذا وجدت أحدهما في كلمة، وكانت تلك الكلمة مؤنثة، كان التانيث بالصيغة والوضع وليس بوجود الالف .
- (٣) علامة التانيث هي التاء المبسوطة الزائدة مع الفعل أو الاسم .
- (٤) قد تكون الكسرة علامة تانيث .

محمد شيبه صالح الحياوي